مدخل إلى الآداب العالمية	السنة الثانية
أ/إدريس سامية	تخصص أدب

الأدب الإنجليزي

تمهيد:

يشمل الأدب الإنجليزي قطاعات كبيرة من الأدب المنتج باللغة الإنجليزية قي أقطار إنجلترا وأمريكا الشمالية والهند وغيرها، ولكننا سنخصص الحديث في هذه المحاضرة على الأدب البريطاني.

وبريطانيا هي مجموعة جزر تغطي أربعة أقاليم هي إنجلترا، إيرلندا الشمالية، اسكتلندا وويلز، وهي ما يعرف الآن بالمملكة المتحدة، والسكان الأصليون للجزر البريطانية هم مزيج من أصول كلتية وأنجلوساكسونية واسكندنافية ونورمانية، وقد كانوا وثنيين بالمجمل قبل أن يغزو الرومان هذه الجزر، وتتحول إلى المسيحية بتأثير من الحملات التبشيرية التي قادها رهبان إيرلنديون، لكن صعود القبائل الأنجلوساكسونية قضى على المسيحية في البلاد قبل أن يُرسيها من جديد أوغسطين الروماني في 597م وإيدان الإيرلندي، وقد تم توحيد إنجلترا على يد أثيلستان عام 977م، وهو حفيد الملك ألفرد العظيم ملك الوسكس.

مر التاريخ الأدبي الإنجليزي بعدة عصور كما يلي:

الأدب الإنجليزي القديم : يمتد من 450 م إلى غاية 1066م. استقرت القبائل الألمانية المعروفة بالأنجلو ـ سكسونية في إنجلترا في القرنين الخامس والسادس، وعُرفت اللهجات التي كانت تتكلمها هذه القبائل باسم اللغة الإنجليزية العتيقة أو الأنجلو ـ سكسونية، وقد ركزت القصائد الإنجليزية القديمة على تمجيد الأبطال ومحاولة تعليم صفات مثل الشجاعة والكرم، ومعظمها لشعراء مجهولين. وتُعدّ القصيدة الملحمية بيوولف أول عمل رئيسي في الأدب الإنجليزي. «تجسِّد ملحمة «بيوولف» الشعر الإنجليزي القديم في أوج قوته، ولكن لأنها قد ظلت مجهولة فترة طويلة جدًّا وأحداثها تدور في إسكندنافيا، فإنها لم تؤثر على الأدب الإنجليزي حتى القرن التاسع عشر عندما ترجمت إلى اللغة الإنجليزية الحديثة».

في إنجلترا الأنجلوساكسونية كانت الكتابة غالبًا حكرًا على الرهبان، وكانت معرفة القراءة والكتابة من اختصاص رجال الدين، أي القساوسة. كتب معظم كُتّاب النثر باللاتينية حتى القرن التاسع، حين ترجم ألفرد الأكبر ملك وَسِكس عدة أعمال من اللاتينية إلى الإنجليزية العتيقة، ومن أهم هذه الأعمال التاريخ الكنسي للأمة الإنجليزية (عام 731) للراهب بيدا، وهو أول سجل لتاريخ هذا الشعب ومصدر مهم عن

حياته منذ نهاية القرن السادس إلى عام 731.« كان لدى ألفريد، مَلِك ويسكس من عام 871 وحتى 899، مفهوم جديد لدَوْره المَلَكي. فقد طمح إلى التميُّز في «كلٍّ من الحرب والحكمة»، واعتبر أن واجبه لا يقتصر على الحفاظ على مملكته من قبائل الفايكينج فحسب، بل أيضًا إقامة مركز ثقافي في بلاطه والإشراف على إنشاء مركز أدبي إقليمي. وقد ترجم (أو ربما فوَّض بالترجمة آخرين) الكتاب المقدس (نسخة نثرية من المزامير الخمسين الأولى) ونصوصًا مسيحية لاهوتية وعملية («مناجاة» لأوجسطين و«العناية الرعوية» لجريجوري) وفلسفة الرواقية الحديثة الرومانية («عزاء الفلسفة» لبويتيوس الذي سيترجمه تشوسر بعد ذلك بقرون عديدة) » وهو يعد أول مَن أنشأ ذخيرة من الأدب باللغة الإنجليزية، رغم أنه لم يحكم إنجلترا كلها، والتي توحدت لاحقا على يدي حفيده الملك أثيلستان الذي هزم تحالفًا من الفايكينج والاسكتلنديين والأيرلنديين. ومنذ ذلك الحين أصبح أثيلستان حفيدُ ألفريد أولَ مَلِك لإنجلترا بأكملها، ولكن الهوية الثقافية لأرضه ظلت هجينة. ورغم أن الأنجلوساكسونيين كانت لهم الغلبة، فإنهم تزاحموا مع تراث أبناء البلد من السلت والغزاة الإسكندنافيين والمبشِّرين المسيحيين. وذلك إلى غاية غزو النورمان في 1066م.

<u>الأدب الإنجليزي في العصر الوسيط:</u> ويتحدد في الفترة من 1066 إلى 1500م.

«بُني الأدب الإنجليزي على النزاع بين المنتصر والمهزوم، بين المركز والأطراف، بين السلطة والتمرد؛ إذ يظهر فيه الروماني مقابل البريطاني، الساكسوني مقابل السلتي، النورماني مقابل الساكسوني، الكتابة باللاتينية أو الفرنسية مقابل الكتابة بالإنجليزية، البلاط مقابل الريف، الجنوب مقابل الشمال، الإنجليزية الفصحى مقابل اللهجة الإقليمية، لندن مقابل الأقاليم». استولى النورمانيون القادمون من فرنسا على إنجلترا عام 1066؛ ومنذ ذلك التاريخ بدأ أفراد البلاط والطبقات العليا الإنجليز يتكلمون الفرنسية لمدة تزيد على مائتي عام؛ وبقيت الإنجليزية لغة الطبقة الشعبية. في أواخر القرن الرابع عشر استعادت اللغة الإنجليزية مكانتها بوصفها اللغة القومية الرئيسية؛ ولكن في حُلة جديدة تسمَّى الإنجليزية الوسيطة. كانت هذه اللغة الجديدة مكونة من عناصر من الفرنسية واللاتينية والإنجليزية القديمة واللهجات المحلية.

في هذه الفترة سادت قصص المغامرات الخيالية المعروفة بالرومانس، وكانت هذه القصص المكتوبة شعرًا، تتكلم عن المعارك والأبطال. وقد نشأت في فرنسا خلال القرن الثاني عشر .وفي نهاية القرن الثالث عشر أصبحت أكثر أنواع الأدب انتشارًا في إنجلترا.

يذهب الدارسون للأدب الإنجليزي إلى أن الشاعر جيوفري تشوسر Geoffry Chaucer (1340-1400) هو أب الشعر الإنجليزي الحديث، ومؤسسه، «وكان يعمل كدبلوماسي وكجندي وكعالم،

كان من الطبقة البرجوازية يعرف الحاشية الملكية وقد خبر الرجل العادي، كما أنه كات قارئا نهما فقرأ كل ما كتب في عصره وقد وسع دائرة معرفته عن طريق رحلاته الإيكالية والفرنسية ودرس شعر القارة الأوربية الأوسع أفقا والأرفع مكانة ولقد عرف – كما فعل كل عالم في عصره- اللغة اللاتينية كما عرفتها العصور الوسطى»، وكان محبا لأدب القرون الوسطى وللحكايات المجازية.

تعزى شهرة تشوسر إلى قصيدته القصصية "حكايات كانتربري" التي كتبها في أواخر حياته، وهي تحليل ساخر لأنماط الشخصية الإنجليزية التي يمثل كلٌّ منها دورًا مختلفًا أو «حالة» مختلفة في المجتمع، ظل يؤقلم النماذج الأوروبية ويحدِّث النماذج المتوارثة. ففكرة الحكايات المتعددة في نسيج واحد شامل مستمدة من "ديكاميرون" لبوكاتشو، وحكاية الفارس أُخذت من عمل آخر لبوكاتشو، وحكاية الطحان الفاسق كُتبت بأسلوب الحكاية الخرافية الفرنسية "فابليو"، وحكاية الراهب صِيغت طبقًا للمفهوم التقليدي للتراجيديا بوصفها سقوط العظماء، وحكاية قس الراهبة قصة رمزية أبطالها من الحيوانات على طريقة إيسوب، وزوجة باث شخصية إنجليزية هزلية استثنائية، ولكن افتتاحيتها وحكايتها تشتركان في نقاش جاد حول أدوار المرأة والسلوك المناسب لها، وهو نقاش يعتمد على مصادر مطَّلعة مثل البحث اللاتيني للقديس جيروم الذي يحمل عنوان "ضد جوفينيان".

عصر النهضة: ويشمل القرن 16 إلأى غاية منتصف القرن 17م (1500 م- 1660م)

ويُطلَق عليه الآن أحيانًا العصر «الحديث المبكر» والذي يمتد من عصر الإصلاح الديني وحتى عصر الأنوار، ويشمل العصر الإليزابيثي والعصر الجاكوبي وعصر كارولين فالبيوريتانية التي أسقطت الملكية لفترة من الزمن إثر الحرب الأهلية عام 1642 بين أتباع الملك من آل ستيوارت والذين كانوا يسمون الفرسان وبين أنصار رؤساء البرلمان، وهم مجموعة سياسية دينية سميت بالبيوريتانيين. وانتصر البيوريتانيون عام 1648؛ وقطعوا رأس تشارلز الأول عام 1649 وحكموا إنجلترا حتى عام 1660.

«طالما اعتُبِر الإنجليز عادة أكثرَ تميزًا في الأدب والمسرح منهم في الرسم والنحت والموسيقى، وتجسدت حضارة النهضة في إيطاليا لدى بوركهارت في الفنون المرئية لمايكل أنجلو ورافاييل ودوناتيللو وبيرو ديلا فرانشيسكا. وفي المقابل، فإن النهضة الإنجليزية ارتبطت بالشعراء والكُتَّاب المسرحيين أثناء عهد الملكة إليزابيث الأولى (1558–1603)؛ مما يعني أنه بينما ارتبط فن النهضة الإيطالية ارتباطًا وثيقًا بالكاثوليكية الرومانية فقد نشأ أدب النهضة الإنجليزية في بيئة بروتستانتية » الأدب الإنجليزي مقدمة قصيرة جدا.

وقد تطور المسرح الإنجليزي في القرون الوسطى كتطوره في القارة الأوربية على وجه التقريب، فانتقل من داخل الكنيسة إلى فناء أمامها، ثم انتقل من الفناء إلى الساحات العامة، واشتملت مسرحيات

"الاسرار" و"المعجزات" [1]الإنجليزية على التاريخ المقدس كله، ومثلت أمام جماهير غفيرة من الناس، وأدى هذا النجاح نفسه إلى ظهور المسرحيات الهزلية.

وفي منتصف القرن الرابع عشر ظهر الاتجاه الخلقي أكثر تجردا ولطافة، فكان يقتضي جمهورا من المستمعين أكثر ثقافة، ولكن سرعان ما اجتاح ذلك حماهير الناس، وانبثقت عن المحاورات الهزلية المبثوثة في مسرح الأسرار والمسرحيات الأخلاقية[2]، شكل درامي جديد هو المحادثة الهزلية.

وبعد وليام شكسبير (1564- 1616) من أعظم مسرحيي التاريخ، وقد كتبَ شكسبير في المسرح البريطانيّ خلال العصر الإليزابيثي والجاكوبيني، أو ما يسمى بعصر النهضة الإنجليزيّة، تاركاً خلفه إرثاً كبيراً من الأعمال الأدبيّة التي لا تزال منتشرةً حتى الوقت الحالي. ولدَ وليم شكسبير عام 1564م في إنجلترا، في مقاطعة وروكشير، وتحديداً في مدينة ستراتفورد آبون أفون، وتلقّى تعليمه في مدرسة ستراتفورد للقواعد والتي تهتمّ بتدريس قواعد اللغة اللاتينية، والترجمة للعديد من الكتّاب، مثل: شيشرون، وفيرجيل، وأوفيد، وهو الكاتب المفضّل لشكسبير، كانت حياة شكسبير العمليّة في مدينة لندن، متنقّلاً إلى سترادفورد بين الحين والآخر، وعلى الرغم من عدم وجود دليل قاطع عن الفترة التي بدأ فيها شكسبير بمهنة الكتابة إلا أنّ الاعتقادات السائدة تشير إلى أنّه بدأ منذ عام 1592م، وفي عام 1594م نشرَ شكسبير بعضاً من مسرحيّاته على شكل نسخ ذات صفحات رباعيّة، ولم تأخذ كتاباته وقتاً طويلاً لتحقّق أعلى نسبة

[1] **مسرحية الأسرار و المعجزات** شكل من أشكال المسرحية الدينية كان شائعًا في القرون الوسطى. وكانت مسرحية المعجزات تقدم، في البداية بوصفها جزءًا من طقوس الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. و قد قامت على دعائم التاريخ الديني و نسجت من قصص التكوين و أحداث الكتاب المقدس مسلسلات متصلة متكاملة يطلق عليها حلقات أو دورات مسرحيات الأسرار، و كانت تدور عادة حول حادثة إعجازية في حياة القديس، و قد انتقلت من الكنيسة إلى الشوارع أو الميادين العامة. وكان أعضاء نقابات التجار والصناع في إنجلترا يؤدُّون تلك المسرحيات في أيام الأعياد الدينية. ومنها مسرحيات " القديسة كاثرين" ،"القديس نيقولا" .

[2] **المسرحية الأخلاقية** شكل من أشكال المسرحية ازدهر في القرن الخامس عشر الميلادي في أوربا وكانت موضوعاتها العامة تدور حول الصراع بين الخير والشر من أجل خلاص الروح الإنسانية. وكان أسلوب المسرحية الأخلاقية عادة مجازيًا أو استعاريًا، و كانت تصور صراع فرد عادي يرمز للإنسان وسط إغراءات و ملذات الدنيا ، و تنتهي إلى ضرورة االحفاظ على الأخلاق . و قد التزمت هذه المسرحيات بالطابع التجريدي في طرح الصراع ، فهي لا تطرح واقعا اجتماعيا في لحظة تاريخية محددة كان الصراع فيها يدور بين بشر واحد يرمز للإنسانية جمعاء ، و بين الفضائل و الرذائل المجردة التي يجسدها الممثلون.

مبيعات وذلك عام 1598م، ويشار إلى أنّ شكسبير عمل ممثلاً في المسرح إلى جانب عمله في الكتابة المسرحية.

استطاع شكسبير أن يكتب أكثر من ثلاثينَ مسرحيّة خلال حياته، فكانَ أوّل ما كتبَه عدّة مسرحيّات تُصنّف على أنّها مسرحيّات كوميديّة وتاريخيّة، مثل مسرحيّة هنري السادس، ومسرحيّة كوميديا الأخطاء، وفيما بعد تغيّرَ توجّه شكسبير فكتبَ مسرحيّة روميو وجولييت الشهيرة عام 1596م، والتي تُصنّف على أنها مسرحيّة تراجيديّة ورومانسيّة، ولكنّه ما لبثَ أن عادَ إلى أسلوبه الذي بدأ به وعُرفَ به، فكتبَ عدّة مسرحيات شهيرة، مثل: مسرحيّة يوليوس قيصر، وهاملت، وعُطيل، والملك لير، وماكبث، وأنتوني وكليوباترا، واستمرّ على هذا النمط لمدّة اثنتي عشرة سنة، إلا أنه وفي سنواته الأخيرة غيّر أسلوبه، فكتبَ عدّة مسرحيّات تندرج تحتَ نمط الرومانسيّة، مثل: مسرحيّة سيمبلين، والعاصفة، وحكاية الشتاء.

ومن أبرز كتاب الدراما نذكر بن جونسون (1573-1637) ، وهو شاعر غنائي من الطراز الأول، فضلا عن سعة اطلاعه وقوة شخصيته، وقد صنع مجده الأدبي بفضل الملاهي التي كتبها، وقد ألف خمسة عشرة مسرحية، كما كان ممثلا مسرحيا، ومؤسسا للنقد المسرحي. ومن أشهر أعماله المسرحيات الكوميدية التي كتبها ما بين عامي 1605 و1614، وكان من أشهرها «فولبوني أو الثعلب Volpone, (1605) or the Fox ، مسرحية ايبيسين أو المرأة الصامتة Epicoene, or The Silent (1609) Woman والخيميائي The Alchemist (1610) ومعرض بارثولميو Bartholomew Fair والشيطان حماراThe Devil is an Ass ، وجميعها تتحدث عن النفاق وتصور الأشخاص الحمقى الذين يسهل خداعهم.

نشأت كوميديا المدينة في أحضان لندن و نتاجا لمجتمع هذه المدينة ، و قد كانت لندن في عصر الملكة إلزابيث الأولى مدينة صغيرة و مركزا تجاريا ساعد على إزدهاره ميناء لندن الذي كان يستقبل السفن من جميع أنحاء العالم مما أدى إلى انفتاح أهلها على مختلف الثقافات ، و قد كان سكانها أساسا من التجار و الصناع و الحرفيين ، و قد كانت فترة حكم الملكة إليزابيث فترة سلام و استقرار ساعدت على الرخاء الإقتصادي الذي أتاح للناس ارتياد المسارح و الأقبال على الفنون بمختلف أشكالها ، و قد ازداد عدد المسارح على الرغم من منع قيامها داخل أسوار المدينة ، حيث أنشأت خارجها على الشاطئ المقابل لنهر التايمز ، و ارتفع عدد الفرق المسرحية و الممثلين المحترفين ، و كان جمهور المسرح أنذاك ينتمي إلى كل الطبقات الاجتماعية حيث لم يظهر بعد في انجلترا التفريق الصارم بين فن الخاصة و فن العامة ، و قد كانت العروض تقدم نهارا و يستمتع بها جميع الناس .

و من أهم ممثلي كوميديا المدينة مسرح توماس ميدلتون (الذي ولد بين 1570 و 1580 و توفي في 1627) الذي برع في التصوير الفكاهي الساخر لحياة العامة في لندن خاصة في الحضيض الاجتماعي و من أشهر مسرحياته " إنه عالم مجنون يا سادة " .

2- نوع آخر اعتمد في موضوعاته على التراث الأدبي الشعبي الشفهي و المكتوب و على الأساطير و الحكايات المألوفة لدى عامة الشعب سواء كانت مترجمة من أدب شعبي أجنبي أو محلية ، و جمع في شخصياته الدرامية بين الشخصيات الكلاسيكية و الفولكلورية و الواقعية و الخيالية أيضا و هو ما يعرف بـ " الكوميديا الرومنسية " التي احتفظت من التراث الكلاسيكي بتقسيم المسرحية إلى خمسة فصول و تجاهلت وحدتي الزمان و المكان و في معظم الأحيان وحدة الحدث .

و قد تأسست الكوميديا الرومانسية في المسرح الألزابيثي بفضل ثلاثة رواد هم جون ليلى (1554-1606) ، روبرت جرين (1560- 1592) و جورج بيل (1565-1591) .

أما الشعر فقد تفرع بين الشعر الغنائي الذي يعبر هن العواطف الشخصية، ومن أشهر كتابه توماس كامبيون (1567–1620) والشعر المعروف بالسوناتا، هي قصيدة مكونة من أربعة عشر بيتًا من الشعر، تتبع نموذجًا معينًا من الإيقاع والقافية. كتب الكتاب الإليزابيثيون نوعين من السوناتة يختلفان في ترتيب القافية وهما السوناتة الإيطالية والسوناتة الإنجليزية. وقد نقل السير توماس وابيت السوناتة من إيطاليا وأدخلها إلى الأدب الإنجليزي لأول مرة في مطلع القرن السادس عشر. وطور إيرل سري السوناتة الإيطالية إلى السوناتة الإنجليزية. نشرت أشعار ويات وسري في مجموعة سُميت منوعات توتل (1557). وكتب وليم شكسبير وإدموند سبنسر السوناتات المتتالية المشهورة؛ وهي مجموعة من السوناتات التي تدور حول موضوع أوشخص واحد. ومن السوناتات المتتالية المشهورة، نذكر سوناتات شكسبير التي أهداها إلى «سيدة سمراء» مجهولة وسوناتات حُبّ سبنسر التي سمّاها أموريتي (Amoretti) (1595). أما النوع الثالث فهو الشعر القصصي، ومن أبرز كتابه إدموند سبنسر (1552- 1599) صاحب "ملكة الجن"، وهي ٹصيدة رمزية كبيرة، قضى في كتابتها حوالي عشرين سنة، وتعتبر «أول ملحمة قومية إنجليزية، واعتمد سبنسر على المادة الخام المحلية المتعلقة بالملك آرثر، وباستخدام الفن التوفيقي الذي تميز به العصر الإليزابيثي، فقد كساها بطبقة من التأثيرات الكلاسيكية (تحولات أوفيد السحرية بنفس القدْر الذي اعتمد به على موضوع فرجيل الأكثر صرامة)، مع العلاقات الرومانسية الخاصة بالملحمة الإيطالية في عصر النهضة (وخاصة «أورلاندو الغاضب» لأريوستو)، مع وضع سمة الابتكار الخاصة به».

ازدهر الأدب في العصر الإليزابيثي، لكنه ما لبث أن ضمر في عهد جاك الأول، ومع بوادر البيوريتانية التي ستصغ حدا لكل من الشعر الدرامي والشعر الغنائي. وقد نبغ في اتجلترا البيوريتانية كاتب واحد هو جوت ملتون، ولد جون ميلتون في مدينة لندن، إنجلترا بتاريخ 9 ديسمبر عام 1608،

وتوفي في 8 نوفمبر عام 1674، وقد نظم ثلاث ملاحم بلغة إنجليزية تتبع خطى الجملة اللاتينية، وشعر مرسل يكاد يخلو من الوزن، اثنان منهما لم يعد لهما ذكر وهما "العودة إلى الفردوس" و"شمشون المقاتل"ـ أما أبرز أعماله فهي قصيدته الملحمية "الفردوس المفقود" التي تعد أعظم قصيدة ملحمية في الأدب الإنجليزي، وإلى جانبها ألف ميلتون الكثير من القصائد الأخرى كما كتب أعمالًا نثرية مهمة، تحدث فيها عن مواضيع اجتماعية هامة، مثل مناهضة الاستبداد وحرية الضمير وأهمية الكتاب المقدس كدليل على الإيمان والتسامح الديني.

وفيما يتعلق بالأدب القصصي المنثور، فقد كانت الروايات الإنجليزية الأولة أمثال "يوفيويز" Eyphues1587 وتتمتها "يوفيويز وبلده إنجلترا" لجون ليلي John Lyly أكثر حيوية من القصص القصيرة المسماة نوفيلا التي ترجمت عن الإيطالية، وقد لاقت نجاحا مباشرا إذ عرضت صورا مثالية للمجتمع المهذب وتضمنت قطعا من القلسفة والتاريخ الطبيعي أو علم الاجتماع (...) أما كتاب "أركاديا" المنشور عام 1590 للسير فيليب سيدني فرواية رعوية بيكارية كتبت بأسلوب فخم لتضفي الوقار على عمل بسيط قصد منه إعطاؤ درس في السلوك تحت اسم رواية.

بعد وفاة الملكة إليزابيث تغير المناخ السياسي و الثقافي و تولى " جيمس الأول " العرش، و الذي كان ملكا لأسكتلندة ، و كان يؤمن بأنه ممثل الله على الأرض و أورث إبنه الملك " تشارلز الأول" هذه العقيدة الديكتاتورية مما جعل الشعب يثور ، حيث اشتعلت نيران الحرب الأهلية في عام 1642 بين مناصري الملكية و الجمهوريين الذين كانوا في مجموعهم من المتطهرين (البيوريتانيين) الذين يعادون أشكال الترفيه ، و أغلقت المسارح أبوابها و توقف النشاط المسرحي الرسمي ، و قد انتصر الجمهوريون بعد سنوات قليلة و أعدموا الملك تشارلز الأول الكاثوليكي في عام 1648 و نصبوا أوليفر كروميل حاميا عاما على انجلترا و حين مات خلفه ابنه الأكبر " ريتشارد " لكن الخلاف دب بينه و بين الجيش ، انتهى الخلاف بحل البرلمان عام 1659 و استدعاء برلمان جديد خلع ريتشارد واستدعى تشارلز الثاني ابن الملك الذي أعدمته الثورة ليخلف والده على عرش البلاد ملكا .

العصر النيوكلاسيكي : من 1660 إلى غاية 1785 بالتزامن مع تأثيرات الثورة الفرنسية، أو العصر الأغسطي (نظرًا للطريقة التي كان كبار الكُتَّاب مثل ألكسندر بوب يقارنون بها ثقافتهم بالثقافة الرومانية القديمة بقيادة الإمبراطور أغسطس)،

انتهى حكم البيوريتانيين عام 1660 عندما أعاد البرلمان الملكية في ظل حكم تشارلز الثاني. وبقي تشارلز في الحكم حتى موته عام 1685، غير أن الفترة بأكملها من عام 1660 إلى عام 1700 تعرف بعصر عودة الملكية. حاول البيوريتانيون تطبيق قانون أخلاقي صارم خلال فترة بقائهم في الحكم. وبعد

عودة الملكية، كان هناك ردة فعل قوية ضد هذا القانون، إذ مارس النبلاء والطبقة العليا حياة إباحية وماجنة أحيانًا. وقد عكس كُتّاب هذه الفترة، خاصة الهزليون منهم، هذه الإباحية في أعمالهم الأدبية.

وعندما أصبح شارلز الثاني ملكا في 1660 «حدث تغير في الأدب الإنجليزي مساويا تقريبا للتغير الذي حدث في الحكومة. وأحد مظاهر هذا التغير هو إعادة فتح المسارح وظهور كتاب جدد في عالم كتابة المسرحية»، وفي قمتهم جون درايدن (1631-1700). تناول درايدن في شعره موضوعات وأجناس شتى، فكتب مثلاً قصيدته «سنة العجائب» Annus Mirabilis عام (1666) عن الوباء الذي انتشر في لندن وعن حريق لندن الكبير الذي حدث عام 1666، وعن حرب إنكلترا مع هولندا وانتصارها عليها. وهناك بعض الشعر الغنائي مثل "أود لعيد القديسة سيسيليا" و"وليمة ألكسندر".

كان درايدن من أهم المسرحيين في عصره حيث كتب الملاهي مثل "السيدات المتنافسات" عام 1663، و"زواج على الموضة" عام 1672، وكتب أيضاً التراجيكوميديا مثل "الملكة العذراء" ، و"الحب السري" ، ولكن أهميته في المسرح تكمن في أنه أسس جنساً أدبياً جديداً هو المأساة البطولية،وهي نوع من المسرحيات ازدهر في عصره وبفضله، وهي متأثرة بالمسرح الفرنسي النيوكلاسيكي الجديد وتعالج موضوعات الصراع بين الحب والواجب أو بين العاطفة والشرف وتنتهي نهاية سعيدة، ومن هذه المسرحيات " الملكة الهندية" عام 1664، و"أورنغ زيب" Aureng Zebe عام 1675، و"الحب المتسلط" عام 1669 و"غزو غرناطة عام 1670، ومن أفضلها من حيث البنية "كل شيء في سبيل الحب" عام 1677 التي كتبها درايدن مقلداً شكسبيرفي استخدامه الشعر الحر المرسل وفي اقتباسه قصة أنطونيوس وكليوباترا، ولكنه اتبع فيها الوحدات الدرامية الثلاث التي امتاز بها المسرح النيوكلاسيكي في فرنسا.

أما في مجال النقد فقد لقب درايدن بمؤسس النقد الإنجليزي، وقد امتازت كتاباته في النقد قبل كل شيء بأسلوب نثري بارع وبمهارة في التحليل المنطقي وبرؤية ثاقبة، فعكس في دراساته سمات عصره الذي كان يسمى أيضاً «عصر النثر والعقل».

شهد عام 1660، إذن، تطور النثر الإنجليزي إذ تزايد اهتمام الناس بالأشياء أكثر من الكلمات، ونظرا لأت العلم بات يلعب دورا هاما في القضايا الإنسانية، على أن النثر ينتسب إلى ميدان الفلسفة والتاريخ أكثر من انتسابه إلى ميدان الأدب. ومن أشهر المؤلفات كتاب Leviathan لتوماس هوبز (1588-1678) الذي هاجم الثيوقراطية، ومهد للمذهب الإلهي، والمذهب الوضعي ..الخ وجون لوك (1632-1804) صاحب كتاب "رسالة في الإدراك الإنساني" وغيرها.

إن الاهتمام بكتابة السيرة هو أحد أهم التطورات في نثر عصر عودة الملكية، ويبدو أن تعبير السيرة استعملت في الإنجليوية للمرة الأولى في عام 1660م، وكات الميل في السير السابقة إما المديح حسب تقليد هطب التكريم بعد الوفاة أو سير القديسين تعتمد على حياتهم. وكانت "كتب السير" الشهيرة لاسحاق ولتون علامة بارزة في تطور السيرة الإنجليزية، مع أنها لم تخل من سير القديسين. وقد اعتمدت الملاحظة والبحث العلمي، وحفلت بسجلات قيمة للميزات الشخصية والأحاديث والأمثلة عن المراسلات.

وقد برز من الشعراء الذين أرسوا للكلاسيكية في عهد الملكة آن الشاعر ألكسندر بوب (1688-1744)، وقد أخذ بوب ابتداء من عام 1715 بترجمة هوميروس شعرا إنجليزيا، وقد قام بوب أيضا بترجمة ملحمة الأوديسة وشجعه في هذا نجاحه في إلياذة هوميروس. وظهرت الترجمة في عام 1726، ومن أهم مؤلفاته قصائد الرعاة 1709، مقال عن النقد 1711، اغتصاب القفل 1712، غابات وندسور 1713، مقالة عن الإنسان 1734 وغيرها.

وقد شهد هذا العصر إلى جانب ازدهار فن المقالة، عودة النثر القصصي وميلاد الفن الروائي على يد دانييل ديفو وسويفت وريتشاردسون وهنري فيلدنج وتوبياس سمولت ولورنس ستيرن وغيرهم.

اهتم ديفو (1660-1731) في بداية حياته بالمجال السياسي وكانت أول أعماله الأدبية كتيبا سياسيا، كما عمل صحفيا حتى بداية القرن الثامن عشر . وأثناء حكم الملكة آن خليفة الملك هنري الثالث ، أصدر ديفو دورية Review ، التي تم نشرها عام 1704- 1713 م ، ولكنه تعرض لبعض المكائد من أعدائه، وكانت النتيجة السجن والإعتقال المتكرر عام 1713 م. وفي عام 1719م ، اتجه ديفو إلى مجال أدبي مختلف ، حيث نشر روايته "روبنسون كروزو" ، وهذه الرواية كانت نتاج مجموعة من المقالات القصيرة التي قام بكتابتها خلال العديد من السنوات ، والتي تروي قصة شاب حطمت سفينته ووصل إلى جزيرة مهجورة، وقد تبعتها أعمال أخرى. لم يكن دانيال ديفو يدرك أهمية العمل الذي قام به، فعلى يديه ولد الفن الروائي، من دون أن يدري، فكل ما كان يريده هو أن يسجل أحداثاً حقيقية وقعت فعلاً، ولا دخل للخيال فيها، هذا ما ادعاه وقد عمل بكل وسيلة لإيهام القارئ بصحة الأحداث، فقد أضفى على قصته الخيالية جواً من الصدق والواقعية. والصيغة الغالبة لروايات ديفو تفانيه في محاكاة الواقع وجهده لإقناع القارئ أن ما يكتبه حقيقي، سعيا منه لكسب القراء من البيوريتانيين المتطهرين الذين كانوا يشككون في الفن الروائي كونه وليد الخيال والكذب. لكن بعض الدارسين يرجع ريادة الفت الروائي إلى صامويل ريتشاردسون الذي أثدر سنة 1740 «أول رواية حقيقية في اللغة الإنجليزية وهي "باميلا"»، ورواية "كلاريسا هارلو"، وقد كتب ريتشاردسون رواياته في شكل رسائل متتالية، وغلب عليها تحليل العواطف الإنسانية وتأثير طباع الشخصية .

العصر الرومنسي: وذلك بداية من 1785 إلى 1832م، وقد افتتحت الرومنسية الإنجليزية باصدار ويليام وردزوورث وصامويل تايلور كولريدج عن دار نشر قروية مغمورة مجلد صغير من الشعر بلا اسم مؤلف على الغلاف يحمل العنوان البسيط «قصائد غنائية وبعض القصائد الأخرى»، وقد كان بمثابة نقطة اشتعال الثورة الرومانسية في الأدب الإنجليزي، وفي عام 1800 أعيد إصدار المجموعة مع إضافة مجلد ثانٍ يضم شعراءَ جددًا، «كَتَب مقدمة طويلة كانت بيانه الرسمي للإعلان عن شعر الوجدان الجديد، وأوضح أن هدفه في القصائد هو اكتشاف «الطريقة التي نربط بها بين الأفكار في حالة الانفعال" وكيف يتصرف الإنسان في أوقات الضغط الوجداني الشديد .هدف وردزوورث استئصال كل مظاهر «الزيف في الوصف» وتجنُّب «الأسلوب الشعري» الرسمي الذي يتمثل في نزعة أشعار القرن الثامن عشر نحو تحويل «السمك» إلى «القبيلة ذات الزعانف»؛ حيث أعلن وردزوورث أن لغة الشعر الجيد لا تختلف عن لغة النثر الجيد؛ فالأسلوب المبهرج والصور البلاغية المرتبطة عادةً بالشعر تخنق ما أطلق عليه جون كيتس في أحد تأملاته العميقة عن الإبداع، المكتوبة على هيئة رسائل "الصوت الحقيقي للشعور"»، ومن أشهر الشعراء الرومانسيين الإنجليز جورج جوردن المعروف باللورد بايرون، وأشهر أعماله قصيدته "دون جوان" وبيرسي ب. شيلي Shelley وجون كيتس John Keats وروبرت ساوثي وتوماس كامبل وغيرهم.

أما النثر الرومنسي فقد تميز بالأسلوب الشخصي في رسائل ويوميات العديد من الكتاب؛ فيوميات دوروثي وردزورث، أخت الشاعر وردزورث، مهمة بشكل خاص. لقد احتفظت بمذكرات تسجل الحياة اليومية في مقاطعة البحيرة أثناء الفترة التي كان أخوها وكولريدج يكتبان الحكايات الشعرية الشعبية الغنائية. تعطي هذه اليوميات سجلاً ساحرًا لعملية وضع هذا المجلد. أصبح نوع من قصص الرعب يسمَّى الرواية القوطية شائعًا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. تتناول معظم هذه القصص الأشباح وحوادث خارقة. وكتب هوراس والبول أول رواية قوطية هي قلعة أوترانتو (1764). ومن أعظم كتاب رواية في العصر الرومانسي هما جين أوستن والسير وولتر سكوت، كتبت أوستن عن حياة الطبقة المتوسطة في المدن الصغيرة في منتجع باث المشهور. تتميز نساء أوستن في رواياتها، مثل الكبرياء والتحامل (1813) وإمّا (1815) بالاستقلالية والذكاء. وكتب سكوت روايات تقع حوادثها في مرتفعات اسكتلندا أو أدنبره. إن سلسلة كتبه التي تسمّى روايات ويفرلي هي في الواقع أول روايات تاريخية في الأدب الإنجليزي. وقد أعلن موت سكوت عام 1832 نهاية العصر الرومانسي.

العصر الفيكتوري: ويشمل العقود السبعة الأخيرة من القرن 19م (1832 – 1901م).

أصبحت فكتوريا ملكة بريطانيا عام 1837؛ واستمر حكمها، حتى عام 1901. شهد العصر الفكتوري تغيّرًا عظيمًا في الاقتصاد والاجتماع والسياسة، حيث وصلت الإمبراطورية البريطانية إلى أوج

عظمتها لتغطي حوالي ربع الكرة الأرضية. توسعت التجارة والصناعة بسرعة، وقطعت السكك الحديدية والأقنية المائية البلاد طولاً وعرضًا. وتَقدَّم العلمُ والتكنولوجيا، وكبر حجم الطبقة المتوسطة بشكل هائل. أخذ عدد المثقفين يزداد في الخمسينيات من القرن التاسع عشر. إضافة إلى ذلك قدمت الحكومة إصلاحات ديمقراطية، فسمحت، على سبيل المثال، لعدد أكبر من الناس بالتصويت.

آمن مفكرو العصر الفيكتوري مثل توماس كارلايل وماثيو أرنولد وجون راسكين بأن الأدب أداة قوية على نحو منقطع النظير لقراءة رموز عصرهم وتفسير «مسيرة التقدم» وتعلم كيفية التعايش معها من ناحية، وهي تلك المسيرة التي تتكون من التمدن والتصنيع والسكك الحديدية والباعة الجائلين والإمبراطورية من ناحية، وتفسير الهدير الكئيب الطويل المرتد لـ «بحر الإيمان»وهو يتراجع على رمال نقد الإنجيل وعلم التطور ومذهب الشك الحديث، الذي دشنه صدور كتاب "أصل الأنواع" 1859 لداروين.

اتَّسم الأدب في العصر الفيكتوري بالواقعية إلا أنَّها واقعية خالية من المنظورِ الاجتماعيّ والسياسيّ، لأنَّ صدقَها لا يتعدى رفع النقاب عن الواقع لا غير. أما بالنسبة لشكل الكتابة فقدِ انتشرت الرمزية في الشعر والنثر وانتقلت إلى المسرح، كما تمَّ تحويل الكثير من الإنتاجات الأدبية إلى عروضٍ مسرحية عن طريقِ أوسكار وايلد وبرنارد شو وغيرهم، وتوفَّر مع التقدُّم الصناعي والتقنيّ للمسارح تقنيات جديدة كالإضاءة وغيرها من أدوات أدَّت إلى تحسين جودة العمل، وظهرت المسارح المدرسية والرقص الكلاسيكيُّ الحر.

تتضمَّن هذه المرحلة أهمَّ وأشهرَ الروايات التي كتبت في الأدب الإنجليزي، ومنها التي كتبها الروائي الشهير تشارلز ديكنز كروايتي "أوليفر تويست" و"ديفيد كوبرفيلد"، فقد تناول في هذه الروايات الحديث عن حياة الأطفال والفقراء التي تحولت بقسوة الكبار إلى جحيم، كما تحدث عن الجانب المُظلم في العصر الفيكتوري في روايته "المنزل الكئيب" وروايته الشهيرة "قصة مدينتين" وغيرها، وهناك الروائي وليم ميكبيس ثاكاري الذي كتب رائعة الفنِّ القصصَي في ذلك العصر وهي "دارُ الغرور" واتَّسمَت رواياته بالواقعية وبذلك أيضًا اتَّسمت روايات كاسكل وجورج إليوت، وروايات الأخوات الثلاث من عائلة برونتي وهنَّ إميلي وتشارلوت وآن التي احتوت على الكثير من العناصر الرومنسية. ويعتبرُ النقَّاد أنَّ رواية إميلي برونتي "مرتفعات وذرينغ" ورواية تشارلوت برينتي "جين إير" من أعظم الأعمال الروائية في العصر الفكتوري.

ومن شعراء تلك المرحلة ألفرد تينسون وروبرت براوننغ وماثيو آرنولد والكاتب الساخر توماس كارلايل، وألفَ الكثير من الكتاب أعمالًا غير قصصية تناولت السوءَ في ذلك العصر، توماس كارلايل الذي هاجمَ الطمعَ والرياءَ، وجون ستيوارت الذي بحث في العلاقة بين المجتمع والفرد في مقالاته وغيرهم.

أهم المراجع المعتمدة:

- د. فايز ترحيني : الدراما و مذاهب الأدب.

- د. نهاد صليحة : أضواء على المسرح الإنجليزي

- آرنولد كيتل: مدخل إلى الأدب الروائي الإنجليزي. الجزء الأول إلى جورج إليوت، ترجمة: أ. د لطيفة عاشور.

- أيفور أيفانز: موجز تاريخ الأدب الإنجليزي، ترجمة: د. شوقي السكري و د. عبد الله عبد الحافظ.

- بول دوتان: الأدب الإنجليزي مترجم.

- ج. نورثلي و جينيث روبرتس: الأدب الإنجليزي من البدايات في القرن السابع إلى ثمانينيات القرن العشرين، ترجمة: د. أحمد الشويخات.

- جوناثان بيت: الأدب الإنجليزي؛ مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: سهى الشامي.